﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنعام: 77]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

ارتقابُ القمرِ - الَّذي هو أنورُ وأضْوَأُ مِنَ الكوكبِ - بَعْدَ ارتقابِ الكوكَبِ

لَمَّا ذكرَ اللّهُ تعالى لهم في الآية السَّابقةِ على لسان إبراهيم ﷺ أنَّ هذا النَّيِّرَ، وهو الكوكبُ الَّذي رآه لا يَصْلُحُ أن يكون ربًّا، جاءت هذه الآيةُ؛ لتُبَيِّن أنَّه ارتقبَ ما هو أنورُ منه، وأَضْوَأُ على سبيلِ إلحاقِهِ بالكوكبِ[1]، فقالَ: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلْقَمَرَ﴾: جذرهُ من (قمر)، وهو أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على بياضٍ في شيءٍ، ومن ذلك القمرُ: قمرُ السَّماء، سمِّي قمرًا لبياضِه، ولأنَّه يقمُرُ ضوءَ الكواكبِ، ويفوزُ بهِ، ويُطلقُ عليه عند الامتلاءِ، ويُسمَّى بذلك منَ اللّيلةِ الثَّالثةِ إلى الخامسةِ والعشرين، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾، والقَمراءُ ضَوءُهُ[2].

2) ﴿بَازِغًا﴾، أي: مُبتدئًا في الطُّلُوع، مأْخوذٌ مِنَ البَزْغِ، وهو الشَّقُّ، يقال: بزغتِ الشَّمس بَزْغًا وبزوغًا: بدا منها طلوعٌ، أو طَلَعت وشَرَقت، كأَنَّها تُشَقُّ بنورِه الظُّلْمَةُ شَقًّا، وبَزَغ النَّجْمُ والقمرُ: ابتدأ طُلوعُهما، وأصلُ البُزوغِ: طُلُوعُ الشَّيءِ وظُهورُه، والمعنى هُنا، أي: طالعًا مُنتَشِرَ الضَّوءِ[3].

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط: 4/566.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (قمر).
(3) الرَّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، وابن قتيبة، غريب القرآن، وابن عزيز السِّجستاني، غريب القرآن: 1/120، وابن فارس، مقاييس اللُّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (بزغ)، وابن الهائم، التِّبيان، ص: 158، والكفوي، الكليَّات، ص: 251.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بيَّنَ الله تعالى في هذه الآيةِ أنَّ إبراهيمَ ﷺ لَمَّا رأى القمرَ طالعًا؛ قال لقومه - على سبيل استدراج الخَصْم -: هذا ربِّي، فلمَّا غابَ هو الآخرُ، قال - مُفتقرًا إلى هداية ربِّه -: لئن لم يُوفِّقْني ربِّي إلى الصَّواب في توحيدِه، لأكونَنَّ منَ القومِ البعيدين عن دينه الحقِّ بعبادةِ غيرِ الله تعالى[1].

الـتَّرقِّـي في الـحِـجَـاجِ مع الخصمِ لبيانِ ضلالِهِ

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ العطفِ بالفاءِ ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾:

قولُه: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾ عطفٌ على جملةٍ محذوفةٍ دلَّ عليها الكلام، والتَّقدير: فطلعَ القمرُ، فلمَّا رآه بازغًا، فحُذفتِ الجملةُ للإيجاز، وهو يقتضي أنَّ القمرَ طلعَ بعد أُفول الكوكبِ، ولعلَّه اختارَ لمحاجَّة قومِه الوقتَ الَّذي يَغْرُبُ فيه الكوكبُ، ويطلعُ القمرُ بقربِ ذلك، وأنَّه كان آخرَ اللَّيلِ ليَعْقبَهما طلوعُ الشَّمس[2].

الـتَّـعـقـيـبُ والإشـــارة إلى قُربِ الحَدَثَيْنِ

بلاغةُ أسلوبِ التَّرقِّي من الكوكب إلى القمر:

لَمَّا بدأَ إبراهيمُ ﷺ المُحاجَّة مع قومِه بالكوكبِ، وانتهى أمرُهُ إلى الأفولِ، ترقَّى بعد ذلك إلى ما هو أضوأُ وأنورُ، وهو القمرُ، ليقيمَ عليهمُ الحُجَّةَ، وليأنسوا بموقفِه ﷺ حتى لا ينفروا منه، ويُصغوا إلى الاستدلال الَّذي يرنُو إليه إبراهيمُ ﷺ من نصبِ الأدلَّةِ على بُطلان رُبوبيَّةِ هذه الكواكبِ وإثباتِ أنَّ الربَّ له صفاتٌ تختلف عن هذه الحوادثِ، وكلُّ ذلك مع الملاطفةِ، وإبعادِ القومِ عنِ العنادِ والمخاصمةِ.

الـتَّـدرُّجُ فيه اسـتـئـنـاسٌ، وأوقـعُ في إقامةِ الـحُـجَّـةِ على الخصمِ

(1) لجنة من عُلماءِ الأزهر، المنتخَبُ في تفسير القرآنِ الكريم، ص: 185، ونُخْبة من العلماء، التَّفسير الميَسَّر، ص: 137، وجماعَةٌ من علماء التَّفسير، المُختَصَر في تفسير القرآن الكريم، ص: 137.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 7/321.

نكتةُ الاستعارةِ في ذِكْر بزوغِ القمر:

تصويرُ طُلوعِ القمرِ بالشَّيءِ الذي يَشُقُّ غيرَه

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾ أي: طالعًا أوَّلَ طلوعِه، منتشرَ الضَّوء، و﴿بَازِغًا﴾: مأخوذٌ منَ البزغِ الَّذي هو الشَّقُّ، كأنَّه بِنُورِه يَشقُّ الظُّلمةَ شَقًّا[1]، ويقال: بزغَ النَّابُ؛ إذا ظهرَ، فيمكنُ أن يكونَ بزوغُ القمر مُشَبَّهًا بما ذُكر[2]، فالتَّعبيرُ عنِ الطُّلوع بالبزوغ استعارةٌ تصريحيَّةٌ تبعيَّةٌ تصوِّرُ الطُّلوعَ في هذه الصُّورة الظَّاهرة.

دلالةُ ذكْرِ البُزوغِ مع القمرِ:

بيانُ اختلافِ الظُّهورِ باختلافِ انتشارِ النُّورِ

جاء في الآية الكريمة ذِكرُ بزوغِ القمرِ دونَ بزوغِ الكوكبِ؛ لاختلاف الظُّهورِ باختلاف النُّور، فالبزوغُ هو ظهورٌ وانتشارٌ يشقُّ الظَّلامَ، ويظهرُ على الأرض[3]، وهذا يكونُ في النَّيِّرَيْنِ: الشَّمسِ والقمرِ، أمَّا الكواكبُ؛ فلا يظهرُ نُورهَا مُنْتَشِرًا كالشَّمس والقمر طالعًا مُنتَشِرَ الضَّوءِ، بل يظهرُ نورهُ في نفسه.

سرُّ التَّعبيرِ بالبُزوغِ دون الظّهور:

الإشارةُ إلى ابتداءِ بُزوغِ القمرِ، وأنَّه يظهرُ بعد أفولِ الكواكبِ

عبَّرَ بالبُزوغِ دون الظُّهورِ؛ لأنَّه يدلُّ على أنَّ القمرَ يظهرُ بعد أفولِ الكواكبِ، فأوَّلُ أمره بزوغٌ، وآخره ظهورٌ؛ لأنَّ البزوغَ هو ابتداءُ الشُّروق، ولا يكونُ في ذلك ظهورٌ.

ولأنَّ البُزوغَ ينصرفُ إلى القمرِ والنَّيِّراتِ الَّتي من جنْسِه؛ بخلاف الظُّهورِ فهو أعمُّ منَ البُزوغ.

دلالةُ القصْرِ بتعريف الطَّرفين ﴿هَٰذَا رَبِّى﴾:

الترقِّي بنفْيِ الرُّبوبيَّةِ عنِ الأضْوَإِ بعد نفْيِها عنِ الأضعفِ ضوءًا

قولُه: ﴿هَٰذَا رَبِّى﴾ أفادَ بتعريف الجُزأين أنَّه أكثرُ ضوءًا منَ الكوكب، فإذا كان استحقاقُ الإلهيَّة بسبب النُّور، فالَّذي هو أشدُّ نورًا أولى بها منَ الأضعف[4].

(1) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 7/160.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 4/189.
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (بزغ).
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 7/321.

سِرُّ تعريف المسنَدِ إليه بالإشارةِ في ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾:

تمييزُ المُشارِ إليه بتعْيينهِ على وجهِ الخصوصِ

استعملَ اسمَ الإشارةِ لقصدِ تمييز القمرِ، والإشارةِ إلى كونهِ أمرًا مطلوبًا مبحوثًا عنه، فإذا عُثِرَ عليه؛ أُشير إليه، وذلك كالإشارةِ في قولهِ تعالى: ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾[1].

براعةُ أسلوبِ البحثِ والانتقال في الاستدلال:

نفيُ الرُّبوبيَّة عنِ القمرِ بطريقٍ يُبْعِدُ الخصمَ عمَّا يُوجبُ عنادَهُ

لما كان تأمُّلُ أنَّ الكوكبَ محلُّ الحوادث بالأفولِ قد طرقَ أسماعَهم، فخالج صدورَهم، قال: ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾، فكانت هذه أشدَّ منَ الأولى وأقربَ إلى التَّصريح بنفْيِ الرُّبوبيَّة عنِ الكواكبِ وإثباتِ أنَّ الرَّبَّ غيرُها، مع الملاطفة وإبعادِ الخصم عمَّا يُوجبُ عنادَه[2].

دلالةُ تَكْرارِ قولهِ: ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ في المحاورةِ:

الوصولُ إلى نقضِ اعتقادِ المشركين

النّاظرُ في هذه الآياتِ من أوَّل قولهِ تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ إلى قولهِ: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً﴾ الآية، يجدُ تكرارَ هذه الجملةِ ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾، وذلك لتكونَ جوابًا لسؤالٍ ينشأُ عن مضمونِ الجملة الَّتي ورد فيها عند رؤيتهِ للكوكب والقمرِ والشَّمس، بأن يسألَ سائلٌ: ماذا قالَ إبراهيمُ عليه السلام عند رؤيتهِ لهذهِ الأشياءِ، فيكونُ الجوابُ: قال: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾، على سبيل الفَرْض؛ جريًا على معتقدِ قومهِ ليصلَ بهم إلى نقضِ اعتقادِهم، فأظهرَ أنَّه موافقٌ لهم، ليَهُشُّوا إلى ذلك، ثم يَكُرَّ عليهم بالإبطالِ إظهارًا للإنصافِ وطلبِ الحقِّ[3].

سرُّ تكرارِ الفعلِ ﴿أَفَلَ﴾ في مُحاورةِ إبراهيم مع قومه:

أفولُ المعبودات دليلُ ضعفِها وعجزها

القارئُ لهذهِ الآياتِ يجدُ أنَّ مادَّة (أفل) تكرَّرت مع الكوكبِ، ومع القمر ومع الشَّمسِ؛ وهذه الكواكبُ النَّيِّراتُ لها وقعٌ على النُّفوس

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 7/317.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 7/160 - 161.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 7/319.

وتأثيرٌ في المشاعرِ؛ لأنَّها يتلألأُ ضوؤُها، وأكثرُ إلفاتًا للنَّظر؛ لذلك كان اعتقادُ قومِ إبراهيمَ في عبادتها، فكان لفظُ (الأفول) مع كلِّ هذه النَّيِّراتِ هو من أقوى الأدلَّةِ على بُطلانِ إلهيَّتها؛ لأنَّ الأفولَ علامةُ ضعفٍ وحدوثٍ، وهذا لا يليق بالمعبودِ الحقِّ.

دلالةُ تقديمِ المفعولِ على الفاعلِ:

الهداية لا تكونُ إلَّا منَ الله

تقديمُ المفعولِ على الفاعلِ في قوله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ يدلُّ على أنَّ الهدايةَ ليستْ إلَّا منَ اللهِ تعالى[1].

بلاغةُ التَّعريضِ في ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾:

الإشـــارةُ إلى ضـلالـهـم قبل مـصـارحـتـهـم بذلك

قولهُ: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ فيه تعريضٌ حسنٌ، حيث عرَّضَ بقومِه أنَّهم ضالُّون، وهيَّأهم قبل المصارَحَةِ للعِلْمِ بأنَّهم ضالُّون؛ لأنَّ قوْلَه: ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ يُدخِلُ على نفوسِهم الشَّكَّ في معتقَدِهم أن يكونَ ضَلالًا[2].

والتَّعريضُ بضلالهم هُنا أصرحُ وأقْوَى من قولِه أوَّلًا: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾؛ وإنَّما ترقَّى إلى ذلك لأنَّ الخُصومَ قد أقامَ عليهم بالاستدلالِ الأوَّلِ حُجَّةً، فأَنِسُوا بالقَدْحِ في مُعتقَدِهم؛ ولو قيل هذا في الأوَّل فلعَلَّهم كانوا يَنْفِرون، ولا يُصغونَ إلى الاستدلالِ، فما عرَّض إبراهيمُ ﷺ بأنَّهم في ضلالةٍ إلَّا بعد أن وَثِقَ بإصغائِهم إلى تمامِ المقصودِ، واستماعِهم إلى آخِرِه[3]، فعرَّض بضلالِهم في أمْرِ القَمَر؛ لأنَّه أيسَ منهم في أمْرِ الكوكب[4].

دلالةُ التَّأكيدِ بالقسمِ المحذوف:

التَّأكيدُ مِن أجلِ تـقـريـرِ المعنى وتحقيقِه

جاءت هذه الآية مؤكّدة بجملةٍ من المؤكّدات لا تدعُ مجالًا للشَّكِّ في أنَّ مصدرَ الهدايةِ الحقيقيَّةِ لا يكون إلَّا منَ اللهِ ﷻ؛ وفي هذا

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 13/46.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 7/321.
(3) ابن المُنيِّر، الانتصاف: 2/40، ومحاسن التأويل، القاسمي: 4/403.
(4) ابن المُنيِّر، الانتصاف: 2/40، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 3/157.

طعنٌ وذمٌّ للأصنام الَّتي عبدوها من دون الله سبحانه. والمؤكّدات هي: القَسَمُ المحذوف، واللَّامُ الموطّئة للقسم، ولامُ التّوكيد المقترنة بالفعل المضارع ﴿لَأَكُونَنَّ﴾، ونونُ التّوكيد الثقيلة.

سرُّ التَّعبيرِ بالهدايةِ في ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾:

الـهـدايـةُ أعـمُّ مِـنَ الإرشـادِ والـدّلالـةِ، ومن أنـواعِـهـا ما يُجريهِ اللهُ على ألسنةِ أنبيائهِ

آثرَ القرآنُ الكريمُ التَّعبيرَ بالهداية دونَ الدَّلالةِ والإرشاد؛ لوجود فرقٍ بينهما في الاستعمال القرآنيِّ، فلفظُ الدَّلالة يُستعمَلُ في الدَّلالةِ على شيءٍ دنيويٍّ باستثناء قولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠﴾ [الصف: 10]، يؤكِّد ذلك ما قاله الراغب في تعريف الدَّلالة بأنَّها ما يُتوصَّل به إلى معرفة الشَّيء؛ كدلالة الألفاظ على المعاني، ودلالة الإشارة والرُّموز ... وسواءٌ كان ذلك بقصدٍ ممن يجعله دلالةً، أو لم يكن بقصدٍ، كمَن يرى حركةَ إنسانٍ، فيعلم أنَّه حيٌّ، قال تعالى: ﴿مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سبأ: 14]، أمَّا مادّةُ الرَّشادِ، فالقارئُ لها يجدُ أنَّها تدلُّ على البيانِ والتَّعريف والإشارة إلى إصابة الحقِّ والنَّفع، كما في قوله تعالى: ﴿وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠﴾ [الكهف: 10]، وهذا يدلُّ على أنَّ المرشدَ يُبَيِّنُ وجهَ الحقِّ والخير، أمَّا الهدايةُ؛ فلها إطلاقاتٌ عديدةٌ في القرآن، حيث ذكر الرَّاغبُ أنَّها تُطلقُ على الدّلالةِ والبيانِ بلُطفٍ، وأنواعُها متعدِّدَةٌ كما ذكرها الرَّاغبُ في مفرداته[1]، وعلى هذا، اختارَ القرآنُ الكريم الهدايةَ؛ لأنَّها أعمُّ منَ الإرشادِ والدّلالة، ولأنَّ الهدايةَ من أنواعِها ما يُجريهِ اللهُ على ألسنةِ الأنبياءِ، ومن معنى التَّوفيق الَّذي يختصُّ به مَنْ شاء من عبادِه، ولأنَّ ضدَّ الهداية الضّلالُ؛ وفي هذا إشارةٌ إلى توفيقِ اللهِ لإبراهيم عليه السلام وأنَّ القومَ الذين عبدوا الأصنامَ في ضلالٍ مبين.

(1) الراغب، المفردات: (هدى).

سرُّ التَّعبيرِ بالمضارعِ ﴿يَهۡدِنِي﴾:

العبدُ في حاجةٍ مستمرَّةٍ إلى هدايةِ ربِّهِ

آثرَ القرآنُ الكريمُ التَّعبيرَ بالمضارع ﴿يَهۡدِنِي﴾ الذي يدلُّ على التَّجدُّدِ والاستمرار، دون الماضي، وهذا هو المناسبُ لحال العبد عمومًا في معتركِ الحياة، والابتلاءاتِ بالشَّهوات التي تذهبُ بالإنسان إلى سوء العاقبة؛ لأنَّهُ ضلَّ الطَّريقَ؛ لذلك كانتِ الهدايةُ المستمرَّةُ منَ اللّه لعباده سبيلَ الحفظِ ودليلَ العِنايةِ والرّعايةِ.

دلالةُ إسنادِ الهدايةِ إلى الرُّبوبيَّةِ دونَ الألوهيَّةِ:

المقامُ مقامُ إنعامٍ وعطاءٍ، وفيه توبيخٌ للَّذين عبدوا الكواكبَ

في قوله تعالى: ﴿لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي﴾، أُسندتِ الهدايةُ إلى الرُّبوبيَّة؛ لأنَّ المقامَ مقامُ إنعامٍ وعطاء؛ بخلاف الأُلوهيَّةِ فهي مقامُ تشريعٍ وتكليفٍ؛ والمناسبُ هنا في هذا السِّياق هو الإنعامُ والعطاءُ قبل التَّكليف.

وفيه إشارةٌ إلى توبيخ الذين عبدوا الكواكبَ، وأعطَوْها صفةَ الرُّبوبيَّةِ، وهي لا تملكُ من أمرها شيئًا؛ فضلًا عن أن تهديَ مَن عبَدها.

فائدةُ الإضافةِ في لفظِ ﴿رَبِّي﴾:

تقريعٌ لقوم إبراهيم وحرمانُهُم من عطاءِ الرُّبوبيّة

أفادتِ الإضافةُ في لفظ ﴿رَبِّي﴾ التَّخصيصَ، وفي هذا توبيخٌ وتقريعٌ لقوم إبراهيم الذين يعبدون الأصنامَ، وحرمانُهم من عطاء الرُّبوبيَّة.

دلالةُ اللَّام والنُّون في ﴿لَأَكُونَنَّ﴾:

ماذا بعد الهداية إلَّا الضلال؟

اللَّام والنُّون في قولهِ تعالى: ﴿لَأَكُونَنَّ﴾ تفيدُ تأكيدَ وجودِ الضَّلال في حالة عدمِ الهدايةِ منَ اللّه، وفي هذا تعريضٌ بقومهِ، وتنبيهٌ لهم على أنَّ من لم يهدِهِ اللّه، فهو ضالٌّ.

دلالةُ التَّعريفِ في لفظي ﴿ٱلۡقَوۡمِ﴾ ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾:

الإشارةُ إلى قوم إبراهيم بالتَّلميحِ دونَ التَّصريحِ

دلَّ التّعريفُ في كلمتي ﴿ٱلۡقَوۡمِ﴾ و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ على التَّخصيصِ والتَّعيين، وفي هذا إشارةٌ إلى قومهِ بالتلميح دون التَّصريحِ.

دلالةُ التّعريفِ باسمِ الفاعلِ ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾:

ثـبـوتُ الـضَّـلالِ في قـوم إبراهيم في الـــحـــالِ والاستقبالِ

آثرَ التَّعبيرَ باسم الفاعل ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ بدلًا مِنَ القومِ الَّذين ضلُّوا؛ لأنَّه يدلُّ على ثبوتِ الضَّلالِ فيهم في الحال والاستقبال، وفيه إشارةٌ إلى ثبوت الضَّلال، فلا يُرجى لهم خيرٌ، ولا يُنتظر منهم نفعٌ.

سرُّ التَّعبيرِ بالضَّلالِ دونِ الشِّركِ أو الكفرِ:

لفظ «الضّلال» يفيد التَّعميمَ، والكفرَ والشِّركَ مـــن أفـــرادِ الضَّلالِ

عبَّر بالضَّلال، فلم يقل: منَ القوم المشركينَ أو الكافرين؛ لأنَّه أعمُّ، فهو العُدولُ عن كلِّ طريقٍ مستقيم؛ وعلى ذلك، فالكفرُ والشِّرك من أفراد الضَّلال، لما فيهما منَ العُدولِ عنِ الفطرةِ السّليمةِ الَّتي خُلقوا عليها.

سِرُّ التّعبير بنسق ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾:

إثباتُ ضلالِهم بطريقِ الكنايةِ لإثباتِ الشَّيء بإثباتِ مَلزومه

لأجلِ التَّعريضِ السَّابقِ لم يقل: (لأكونَنَّ ضالًّا)، وقال ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ ليُشيرَ إلى أنَّ في النَّاس قومًا ضالِّين، يعني قومَه؛ فهو من قبيل الكنايةِ الَّتي هي إثباتُ الشَّيء بإثبات مَلزومه، وهي أبلغُ منَ التَّصريح[1].

بلاغةُ الطِّباق بين الهداية والضّلال:

انتصافُ إبراهيم مـن خـصـومـهِ وتـهـيـئـتُـهـم لـلـمـصـارحـةِ بضلالِهم

في كلام إبراهيم بأنَّ له ربًّا يهديه، وهم لا يُنكِرون عليه ذلك؛ لأنَّهم قائلون بعدَّةِ أربابٍ، وفي قَولِه: ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾، تنبيهٌ لقومِه على أنَّ منِ اتَّخذ القمرَ إلهًا، وهو نظيرُ الكواكبِ في الأفول، فهو ضَالٌّ، وأنَّ الهدايةَ إلى الحقِّ بتوفيق اللّهِ ولطفِه، هذا أَكْبَرُ من بابِ استعمالِ النَّصَفَةِ مع خصومِه[2].

ففي ذكرِ الهدايةِ والضَّلال في هذا المقام تهيئةٌ لنفوسِ قَومِه لِمَا عَزَمَ عليه منَ التَّصريحِ بأنَّ له ربًّا غيرَ الكواكب[3]، وهو من كمال الانتصافِ والعدل مع خصومِه.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 7/322.
(2) الزمخشريّ، الكشَّاف: 2/40، والآلوسي، روح المعاني: 4/189.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 7/322.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

البُزوغ والطُّلوع والشُّروق:

البُزوغُ: ابْتِداءُ الطُّلوعِ، والطُّلوعُ: الظُّهورُ، والشُّروقُ: الإضاءةُ

البزوغُ أوَّلُ الطُّلوعِ وابتداؤه[1]، والطُّلوعُ: الظُّهورُ، والشُّروق الإضاءة، يقال: أشرقتِ الشَّمسُ؛ إذا أضاءت على وجهِ الأرض[2]، وامتدَّ ضوؤُها وانتشرَ، والإضاءةُ تكون مع الارتفاعِ[3]، فالطُّلوع أعمُّ.

(1) الزَّبيدي، تاج العروس: (بزغ).
(2) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: (شرق).
(3) العسكريُّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 98.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي عشر، سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 11 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-63-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 11 : سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-63-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9795022 بتاريخ 2023/12/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»